• الكتاب: مكانة بيت المقدس
• تأليف: د. محمد عمارة
د. عبد الحليم عويس
• السلسلة: رسائل القدس
• قياس الصفحة: ١٠×١٤
• رقم الإيداع: ٩٩٩٥ / ٢٠٠٢
• جميع الحقوق محفوظة

الإخراج الفني
أحمد عبد المنعم
الغلاف
إيهاب عبد الله

مركز الإعلام العربي
ص.ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر
• هاتف: ٣٨٣٢١٩٨/٣٨٤٤٤٢٢/٣٨٣٣٣٦١
• التوزيع: ٧٤٤٥٤٥٥ • ف: ٣٨٥١٧٥١(٠٠٢٠٢)
• الموقع على شبكة الإنترنت:
Home Page:www.Resalah4u.com
• البريد الإليكتروني:
E .Mail:media-c@ie-eg.com

•••

مؤسسة القدس
لبنان - بيروت - شارع الحمراء
بناية الساورلا - ط ١١
• هاتف: ٧٥١٧٢٤/٥-١-٩٦١+
فاكس: ٧٥١٧٢٦ -١- ٩٦١+
• العنوان البريدي:
بيروت - الحمراء: ٠١١٣/٥٦٤٧
• البريد الإليكتروني:
alquds_institation@yahoo.com

مقدمة الناشر

تأتى سلسلة «رسالة القدس» إسهامًا فى التوعية بقضية فلسطين وفى القلب منها قضية القدس فى صورة وشكل مختلفين لتسهِّل على الراغبين فهم ووعى القضية بطريقة موجزة بسيطة..

وتأتي هذه الرسالة - إضافة إلى سابقاتها - التي يصدرها **مركز الإعلام العربى بالقاهرة و مؤسسة القدس ببيروت** لاثنين من كبار المفكرين هما: **الدكتور محمد عمارة، والدكتور عبد الحليم عويس** - إسهامًا من الإسهامات المتعددة نحو فهم القضية واستيعاب خلفياتها الإسلامية، والله نسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

القسم الأول

إسلامية القدس .. ماذا تعني؟

أ.د. محمد عمارة

كاتب ومفكر إسلامي

القدس - كل القدس - حرم مقدس كما أن مكة - كل مكة - حرم مقدس .. ولقد أطلق القرآن الكريم على هذه المدينة المقدسة مصطلح «المسجد» قبل الفتح الإسلامى لها، وقبل بناء المساجد الإسلامية فيها .. فهى «مسجد» كما أن مكة «مسجد» - أى قبلة للساجدين - حدث ذلك منذ العام الثانى قبل الهجرة - عام معجزة الإسراء

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (الإسراء:١) .

فالإسراء قد حدث من مكة - المسجد - إلى القدس - المسجد - وهو قد أقام رباطًا بين هذين الحرمين المقدّسين، وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى .. وهو رباط يجسد وحدة الدين الإلهى عبر كل النبوات والرسالات.. فالمسجد الحرام، الذى هو أول بيت وضع للناس فى الأرض، والذى أصبح قبلة أمة الرسالة الخاتمة، عندما يربط الله - بالإسراء - بينه وبين القدس - قبلة النبوات السابقة - إنما يرمز بذلك إلى وحدة الدين الإلهى، وإلى اكتماله بالإسلام، وإلى جمع العقيدة الإسلامية الإيمان بكل الرسل والرسالات من آدم إلى محمد (عليهم الصلاة والسلام) لا نفرق بين أحد من رسله. وإذا كان المسلمون هم الذين سموا هذه

المدينة: «القدس»، و«القدس الشريف»، و«بيت المقدس»، و«الحرم القدسى»، منذ فتحهم لها (سنة ١٥ هـ) - وذلك بعد أن كان اسمها يومئذ «إيليا الكبرى» - فلقد صنعوا ذلك ليعلنوا بهذه الأسماء القدسية عن قداستها، ولم يكن قد قام فيها يومئذ مسجد من مساجد الإسلام، ولا دخل أحد من أهلها فى دين الإسلام!

لقد عاملوها - كما شاء الله لها - معاملة الحرم المقدس.. وتجلى هذا الاعتقاد الإسلامى فى أحداث الفتوح، فكما أن مكة حرم مقدس، ولذلك لا يحل فيها القتال.. كذلك عامل الفاتحون المسلمون القدس، فحاصرها جيش المسلمين، بقيادة أبى عبيدة بن الجراح، حتى رغب أهلها فى الصلح، دونما قتال؛ لأنها حرم لا يحل فيها القتال.. بل لقد ظلت هذه الحرمة عقيدة إسلامية مرعية عبر عصور التاريخ.

فعلى الرغم من أن الصليبيين الذين اقتحموا القدس عنوة (٤٩٢ هـ ١٠٩٩م) قد أبادوا جميع مَنْ بها من المسلمين، عندما أقاموا فيها مجزرة دامت سبعة أيام، لم يسلم من الذبح فيها حتى الذين احتموا بالمسجد الأقصى، فذبحهم الصليبيون، حتى جرت الدماء فى المسجد كالنهر، وسبحت فيه خيول الصليبيين حتى لجُم هذه الخيول!! على الرغم

من ذلك، عامل صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) هذه المدينة المقدسة معاملة الحرم الذى لا يجوز، ولا يحل فيه القتال .. فحاصرها (٥٨٣ هـ - ١١٨٧م) حتى صالح الصليبيين فيها على التسليم.. فهى ليست مجرد مدينة.. وإنما هى حرم، وبعبارة صلاح الدين: «إنها إرثا وإرث كل أصحاب الديانات.. فيها تجتمع الملائكة.. ومنها عُرج بنبينا إلى السماء».

قدسية المدينة

ولتقديس الإسلام لهذه المدينة، باعتبارها مسجدًا وحرمًا وقبلة للنبوات السابقة.. ولأن الإسلام وحده هو الذى جعل الإيمان بالنبوات والرسالات السابقة جزءًا من عقيدته - تميزت السلطة الإسلامية عبر تاريخ السيادة السياسية للدولة الإسلامية على مدينة القدس، بإشاعة قدسيتها لكل أصحاب المقدسات من أبناء كل الديانات السماوية..

فكانت الدولة الإسلامية وحدها والسلطة الإسلامية دون سواها هى المؤتمنة والأمينة على المقدسات غير الإسلامية فى هذا الحرم المقدس الشريف.. بينما كان العكس - أى الاحتكار - هو موقف كل السلطات غير

الإسلامية التى استولت على مدينة القدس.. فالرومان قد احتكروها لأنفسهم، دون اليهود والنصارى فى حقبة الوثنية الرومانية، وبعد أن دخلوا فى النصرانية احتكروها دون اليهود، وعندما فتح المسلمون القدس، كان من مطالب أهلها - النصارى - ألا يسكن فيها أحد من اليهود، ولا أحد من اللصوص! وصنع هذا الاحتكار - أيضًا - الصليبيون الذين احتلوها ٩٠ سنة؛ فبعد أن ذبحوا اليهود مع المسلمين احتكروا مقدسات المدينة، حتى لقد حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية، وإلى إصطبل لخيول فرسان الإقطاع اللاتين! ونفس الاحتكار يصنعه الصهاينة اليوم، عندما يطاردون الوجود العربى فيها - إسلامي ونصراني - ويهددون المقدسات بالاستيلاء والهدم والتحويل!

والفارق بين المسلمين وغيرهم فى هذه القضية - إشاعة قدسية القدس أو احتكارها - ليس مجرد تسامح يقابل التعصب.. وإنما هو دين واعتقاد دينى.. فالإسلام وحده هو الذى يعترف بكل الرسالات والشرائع الدينية، ومن ثم يعترف بقدسية مقدسات أهلها، ولقد جعلت دولته من أمان وتأمين غير المسلمين على عقائدهم وصلبانهم وكنائسهم - مع أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم - دينًا وعهدًا وميثاقًا.. بينما اليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالإسلام..

والنصرانية تتخذ نفس الموقف من الآخر الدينى ومن مقدساته.. ولذلك، لم تكن صدفة، ولم يكن مجرد تسامح أن تشيع قدسية القدس بين كل أصحاب المقدسات فى ظل السيادة الإسلامية على القدس، وأن تقع هذه المدينة وقداستها فى الاحتكار عندما يحتلها الآخرون.. الأمر الذى يجعل من السيادة الإسلامية على القدس المصلحة المحققة لكل أصحاب الديانات، وليس فقط للمتدينين بدين الإسلام..

ولأن هذه هى حقيقة الاعتقاد الإسلامى، التى جسدتها السيادة الإسلامية على القدس، فلقد رأينا - عبر تاريخ هذه المدينة المقدسة - حجج أوقاف الكنائس النصرانية تنص على أن يكون «نظار» هذه الأوقاف الكنسية من المسلمين.. بل وتنص كثير من هذه الحجج على أن تكون «مفاتيح» الكنائس بيد أسر مقدسية مسلمة.

ولأن هذا هو مقام القدس فى عقيدة الإسلام والمسلمين وموقعها فى التاريخ الإسلامى.. ومكانتها فى الدولة الإسلامية.. فإننا يجب أن نتعامل معها، فى هذا الطور من أطوار الصراع التاريخى حولها وعليها، باعتبارها أكثر من قطعة أرض.. وأعظم من مدينة.. وأهم من عاصمة للدولة الفلسطينية.. وأخطر من كونها قلب الصراع العربى

الصهيونى.. إنها كل ذلك وأكثر من ذلك.. إنها جزء من عقيدة أمة يبلغ تعدادها مليار وثلث المليار، وليست مجرد قضية وطنية لثمانية ملايين من الفلسطينيين، ولا مجرد مشكلة قومية لأقل من ثلاثمائة مليون عربى.. إنها عاصمة الوطن الفلسطينى.. ومحور الصراع العربى ـ الصهيونى، وفوق كل ذلك، إنها عقيدة إسلامية، وحرم مقدس، والربط بينها وبين الحرم المكى هو التجسيد لعقيدة وحدة دين الله، التى جاء بها الإسلام.

فإسلامية القدس، وإسلامية موقفنا فى الصراع حولها، يضيف للإمكانات الوطنية الفلسطينية والطاقات القومية العربية، ولا ينتقص منها.. بل إن هذه الإسلامية لقضية القدس، هى - كما أشرنا - فى مصلحة سائر أصحاب المقدسات من سائر المتدينين بالديانات.

أبعاد القضية الفلسطينية

وإذا كانت هذه هى حقيقة أبعاد موقفنا من قضية القدس.. فإن الوعى بهذه الحقيقة، واستدعاء طاقات هذه الأبعاد الإسلامية.. تتزايد وتشتد عندما نعلم أبعاد الموقف المعادى إزاء هذه المدينة المقدسة.

صحيح أننا نواجه فى القدس وفلسطين، مشروعًا

استعماريًا استيطانيًا عنصريًا، لكنه ليس كغيره من المشاريع الاستيطانية العنصرية - كالذى قام فى جنوب أفريقيا مثلاً - وإنما نواجه أبعادًا أسطورية دينية لهذا المشروع الاستيطانى الاستعمارى العنصرى، تجعل من استدعاء الأبعاد الدينية الإسلامية لموقفنا من هذه القضية ضرورة صراعية، فضلاً عن أنها دين واعتقاد..

فهذا المشروع الاستيطانى العنصرى، القائم الآن فى القدس وفلسطين، قد تبلور أول ما تبلور، فى اللاهوت البروتستانتى الغربى، انطلاقًا من الفكر الأسطورى حول «رؤيا يوحنا»، وعودة المسيح - عليه السلام - ليحكم الأرض ألف سنة سعيدة، بعد معركة «هَرْمجدّون» والذى جعل من جمع اليهود وحشدهم فى فلسطين، وتهويد القدس، وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، أى جعل من تحقيق العلو الصهيونى دينًا يتدين به البروتستانت فى الغرب.. ثم حدث التبشير بهذا المشروع البروتستانتى بين الجماعات اليهودية، فتلقفته الصهيونية - كحركة قومية عنصرية - والإمبريالية الغربية - إبان زحفها على الشرق الإسلامى - وبحثها عن أقليات توظفها - كمواطىء أقدام - فى المشروع الاستعمارى.. فاجتمعت لهذا المشروع الاستيطانى الاستعمارى العنصرى عناصر متعددة ومركبة.. منها:

١ - البعد الدينى فى لاهوت النصرانية الغربية.. وهو الذى بدأ بروتستانتيًا، ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية، حتى جعلها تشرع فى «تهويد نصرانيتها» بدلاً من تحقيق الاعتراف اليهودى بالنصرانية! فهى الآن تسعى لتجعل «يهوه» إلهها! وتتحدث عن «دمج المسيح فى إسرائيل».. وتعدّل، ليس فقط فى «الفكر المسيحى» وإنما فى «الأناجيل والصلوات»! لتصل إلى طلب «الغفران» من اليهود، بعد أن عاشت قرونًا تبيع «صكوك الغفران»!

٢ - والبعد الاستعمارى العلمانى - بل والدهرى الوضعى والمادي - فبونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١) الوضعى الدهرى.. هو أول من دعا إلى توظيف هذه الأساطير الدينية فى خدمة مشروعه الاستعمارى.. و«سايكس» - السياسى الاستعمارى الإنجليزى - الذى عقد مع «بيكو» الفرنسى - معاهدة «سيكس - بيكو» سنة ١٩١٦م لتمزيق الدولة العثمانية، وتوزيع أجزائها العربية بين القوى الاستعمارية.. قد أقاموا له تمثالاً فى قريته «سلدمير» بمقاطعة «يوركشاير» مكتوب عليه.. «ابتهجى يا قدس»..

فالقدس هى هدف الاستعمار الغربى العلمانى كما هى هدف اللاهوت النصرانى الغربى.

وعندما دخل الجنرال الإنجليزى «اللنبى» القدس سنة ١٩١٧، تقمص صورة بابوات الحروب الصليبية فقال: «اليوم انتهت الحروب الصليبية. ويومها نشرت مجلة «بنش Punch» الإنجليزية رسمًا يمثل «ريتشارد قلب الأسد» الملك الصليبى وهو يقول: «الآن تحقق حلمى».

أما الجنرال الفرنسى «جورو» الذى يرفع راية العلمانية الفرنسية المتطرفة - فهو الذى يذهب - عند دخوله دمشق سنة ١٩٢٠م إلى قبر صلاح الدين الأيوبى ليركله بقدمه، ويقول: «**ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين**»!

فالبعد العلمانى الغربى، يحالف ويعانق ويساند ويوظف البعد اللاهوتى الغربى فى الصراع على القدس وفلسطين .

٣ - والبعد الإمبريالى الأمريكى المعاصر، الجامع بين الدين والاستعمار، ها هو يوظف «المسيحية الصهيونية» فى خدمة «تديين» الاغتصاب الصهيونى - الغربى للقدس وفلسطين.. فالكونجرس الأمريكى، عندما يقرر فى سنة ١٩٩٥ نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وبنائها على أرض الأوقاف الخيرية الإسلامية، يقول فى مقدمة قراره هذا: «إن القدس هى الوطن الروحى لليهودية» مع أن هذه القدس لم يرها نبي اليهودية موسى، عليه السلام، ولم تنزل فيها توراة اليهودية.. وإذا كان داود وسليمان - عليهما السلام -

قد عاشا فيها برهة من تاريخها الطويل، فهما - بنظر اليهود - ملوك وليسوا رسلاً ولا أنبياء.. فلم.. ومتى كانت القدس الوطن الروحى لليهودية؟! إن الإمبريالية تحوِّل الأساطير إلى دين تدعم به الاغتصاب!

٤- وأخيرًا، البعد العنصرى الصهيونى، الذى حول اليهودية إلى عنصرية صرفة، لا علاقة لها بذلك الدين السماوى الذى أنزله الله على موسى، عليه السلام.. فتعريف اليهودى - فى دائرة معارف كيانها الاستيطانى - هو «المولود من أم يهودية».. أى أن هذا العامل «البيولوجى»، وليس التدين بالدين، هو الذى يحدد يهودية اليهودى.. فالمولود من أم يهودية - حتى ولو كان ابن زنا.. أو ملحدًا - يصبح يهوديًا، ومن شعب الله المختار، وصاحب الحق فى الاستيطان والاغتصاب للقدس وفلسطين!!

هكذا، نواجه - فى القدس وفلسطين - استعمارًا استيطانيًا إمبرياليًا عنصريًا، يوظف الأساطير والأوهام والأكاذيب، ليجعلها دينًا يدعم المشروع الاستعمارى، و«روحانية» تغلِّف الاستيطان العنصرى.. فهل نترك العدو يدعم الباطل بالأساطير.. ونهمل - نحن - تأييد الحق الفلسطينى الوطني، والمطلب العربى القومى بحقائق الوحى الإلهى، وصادق الاعتقاد الديني، وناصع صفحات واقع